تقاطعات: نحو تعزيز المناصرة النسوية وتحويل واقع حقوق الصحة الجنسية والإنجابية

تُعد "تقاطعات" مجموعة نسوية تعمل على بناء حركة اجتماعية نسوية قوية تتحدى أنظمة القمع والاستنزاف والتمييز، وتسعى إلى نشر المعرفة النسوية وخلق فضاءات آمنة للنساء والفتيات بكافة تنوعاتهن. وتطمح "تقاطعات" إلى بناء رؤية جماعية للعدالة والتضامن، تشاركية الجهود مع النساء والفتيات، مع تركيز جوهري على قضايا حقوق الصحة الجنسية والإنجابية.

من خلال استكشاف تصورات النساء لأجسادهن، وتجاربهن داخل أنظمة الرعاية الصحية، ومدى وعيهن بقضايا الصحة الجنسية والإنجابية، سعت "تقاطعات" إلى سد الفجوات ومعالجة الحواجز القائمة ضمن الأطر الصحية والاجتماعية الحالية. وكشفت جهودها عن تحديات عميقة الجذور ناتجة عن الأعراف الثقافية والاجتماعية، وضعف الوعي بالحقوق الصحية والإنجابية، إلى جانب قصور في الخدمات الاجتماعية. كما أبرزت وجود معيقات كبيرة لدى مقدمي الرعاية الصحية – من ممرضات وقابلات وأطباء – تمثلت في غياب التدريب الكافي، ونقص المعرفة الخاصة بالسياق، وانعدام الأدوات اللازمة لمواجهة تحيّزاتهم الذاتية، مما انعكس سلبًا على جودة الرعاية.

ردًا على هذه التحديات، اعتمدت "تقاطعات" استراتيجية مزدوجة: تمثّلت أولًا في توثيق التجارب الحياتية للنساء لضمان أن تكون التدخلات والسياسات مبنية على رؤى واقعية قائمة على الأدلة. وثانيًا، في تحسين جودة الخدمات الصحية من خلال تزويد مقدمي الرعاية بالأدوات والمعرفة اللازمة لتقديم رعاية شاملة ومتعاطفة. وقد استند هذا النهج إلى إطار نسوي مناهض للاستعمار ومركز على العدالة، يهدف إلى خلق حلول ملموسة ومساحات حوار آمنة وهادفة.

بدأت "تقاطعات" مسيرتها بتنظيم مجموعات نقاش بؤرية ضمّت 96 امرأة من خلفيات متنوعة، ناقشن تجاربهن مع خدمات الرعاية النسائية في الأردن. وكشفت هذه الحوارات عن عقبات منهجية أعاقت وصول النساء للرعاية الصحية، حيث بدت رحلتهن كأنها "متاهة من الخدمات" يصعب التنقل فيها. ولتكملة الصورة، أُجريت مجموعات نقاش إضافية ومقابلات مع 42 من مقدمي الرعاية الصحية، بمن فيهم أطباء وممرضات وقابلات، وكشفت هذه اللقاءات عن ممارسات مقلقة، منها: الضغط الجسدي المفرط أثناء الفحوصات، غياب السرية، وتعليقات وأسئلة غير لائقة من قبل بعض مقدمي الخدمة، ما أبرز الحاجة الملحّة للتدريب وتغيير العقليات تجاه قضايا الصحة الجنسية والإنجابية.

بناءً على هذه النتائج، طورت "تقاطعات" دليلًا تدريبيًا شاملًا يأخذ بعين الاعتبار واقع النساء ومقدمي الرعاية على حد سواء. وأصبح هذا الدليل أساسًا لسلسلة ورش عمل تدريبية تراعي النوع الاجتماعي حول حقوق الصحة الجنسية والإنجابية، استهدفت 34 من مقدمي الرعاية الصحية من محافظات متعددة، مثل: إربد، الكرك، الطفيلة، عمان، معان، والزرقاء. وقد أسهمت هذه الورش في تعزيز المعرفة، وتمكين المشاركين من تبنّي ممارسات أكثر احترامًا وتعاطفًا وأمانًا.

وقد كان لهذا التدخل أثر ملموس؛ إذ أبلغ المشاركون عن تطور في مواقفهم، وثقة أكبر في التعامل مع قضايا الصحة الجنسية والإنجابية. قالت إحدى القابلات: "تعلمت أن أكون أكثر تعاونًا مع المريضات، أحترم خصوصيتهن، أستمع باهتمام، وأوفر بيئة داعمة ومتعاطفة." وأضافت ممرضة أخرى: "أهم ما خرجت به من التدريب هو احترام استقلالية المريضات، وتقديم الدعم دون فرض آرائي الشخصية".

وامتد أثر "تقاطعات" خارج حدود الأردن من خلال إنشاء "المدرسة النسوية الإقليمية للصحة والحقوق الجنسية والإنجابية" ضمن مبادرة "نحن نقود". هذا البرنامج الريادي جمع مشاركين من سوريا، الأردن، فلسطين، الكويت، تونس، ومصر، وضمّ ناشطات، وفنانات، وباحثات، وصحفيات، وكاتبات، وأخصائيو الرعاية الصحية، وعاملين مجتمعيين. وقد شكلت المدرسة منصة نابضة بالحياة لتبادل المعرفة والتفكر الجماعي، أسهمت في كسر الحواجز وتعميق الفهم المشترك للمفاهيم الصحية والحقوقية، كما أنتجت محتوى يعكس خصوصية السياقات المجتمعية، مما عزز الأثر الجماعي.

ورغم النجاحات، واجهت "تقاطعات" تحديات كبيرة، أبرزها صعوبة تعبئة وحشد أطباء أو طبيبات النسائية، والتعامل مع ديناميات القوة داخل المؤسسات الصحية. كما أثّرت الظروف السياسية والعسكرية – كالحرب والاحتلال في فلسطين ولبنان – على مشاركة بعض الجهات في المدرسة الإقليمية. ومع ذلك، تكيفت "تقاطعات" مع هذه التحديات، وركزت على فئات أكثر قربًا من النساء مثل القابلات والممرضات، اللاتي برزن بشكل رئيسي كمقدمي رعاية رئيسيات ومناصرات للتغيير، كما فعّلت خططًا بديلة لضمان سلامة المشاركين واستمرار المدرسة.

من خلال تركيزها على التجارب المعاشة للنساء ومقدمي الرعاية، صاغت "تقاطعات" نموذجًا تحويليًا في التوعية، والمناصرة، والتعليم، والتضامن. وهو نهج لم يساهم فقط في تحسين تجربة الرعاية الصحية، بل عزّز أيضًا من تمكين العاملين في القطاع، ووسّع الأجندة النسوية الخاصة بحقوق الصحة الجنسية والإنجابية. ولا تزال "تقاطعات" تمهد الطريق نحو مجتمع أكثر شمولًا وعدالة ومساواة.